بسم اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم

## الْمُقَدِمَةُ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَولَايَ فِي السِّرِ وَالْجَهْرِ عَلَى نِعْمَةِ الْقُرْآنِ يَسَّرْتَ لِلذِّكرِ

وَظَلَّ هُدىً لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ دَلَائِلُهُ غُرٌّ وَسَامِيةُ الْقَدْرِ

وَصَلَيتُ تَعْظِيماً وَسَلَّمتُ سَرْمَداً

...

عَلَى الْمُصْطَفَى وَالْآلِ مَعَ صَحْبِهِ الزُّهرِ

وبعد :فمنذ زمن يزيد على العقد والنصف من السنين كانت لي همة في البحث عن بعض المسائل التجويدية المختلف فيها بين أهل العلم، والتي تمحضت ورشحت من خلال تدريس مادة التجويد والقراءات، ومن خلال الأسئلة التي كان يطرحها بعض طلبة العلم أثناء التدريس.

والموضوع خاص في) بعض ما اختلف فيه علماء التجويد (، وهو موضوع في غاية الأهمية، ولم يكن جوابنا لهم باجتهاد منا، إنما هو ما رشح لنا من خلال ما تبين من آراء العلماء المحققين، ولكلٍّ متتبع لمثل هذه المواضيع سيجد ضآلته في رأي العلماء قديماً وحديثاً، لاسيما المواضيع التي تتعلق بمخارج وصفات الحروف، لأنها في غاية الخطورة، لتعلقها بتفسير الخليفة الراشد علي بن أبي طالب *رضي الله عنه* لما سئل عن قول الله تعالى { ورتل القرآن ترتيلاً) { المزمل: 4 (قال) :الترتيل هو تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف) (1(.

والموضوع الأكثر أهمية - والذي هو محل خلاف العلماء - هو مخرج الضاد، وكيف يلتبس على كثير من المتعلمين، بقرائته ظاءً أو طاءً أو دالاً أو تاءً أو لاماً مفخمة. وكذلك الخلط بين) حروف الصفير (بأن يجعل الصاد سيناً أو زاياً وبالعكس. وكذلك في اختلاف القرَّاء في الميم المخفاة مع الباء هل يكون بإطباق الشفتين مع الغنة أم ترك فرجة بسيطة؟ والتي أشغلت الكثير من أهل العلم فيها. وأيضاً اختلافهم فيما يتعلق ببعض أحكام النون الساكنة والتنوين عند ملاقاة الواو والياء. وفي بعض مسائل الإدغام. والحروف المقطعة. والياءات بنوعيها الإضافية والزائدة ... وغيرها من الأحكام، لهذا كله وجدنا من الضروري بمكان البحث فيها باختصار في كتب أهل الأداء من الأقدمين والمحدثين ومدى اتفاقهم واختلافهم فيها.

وإنما أردنا أن نبين للقارئ الكريم إلى أي حد يخطئ أولئك الذين يطلقون الوجوه للناس فيعملون بها حال الأداء من غير توقيف ولا حساب - ويحسبون أنهم على الحق - فيزل

بزلتهم خلق كثير فيقعون في المحظور الذي هو بذاته الكذب في الرواية والتركيب في الطرق وهو ممنوع لا يجوز بحال فإن الأصل في قراءة القرآن هو التلقي والرواية لا الاجتهاد ولا القياس، ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية *رحمه الله* تعالى حيث أفتى بعدم جواز القراءة بمجرد الرأي وساق لذلك أدلة كثيرة

(1) روح المريد شرح منظومة عقد الفريد في علم التجويد ص 137، والتمهيد في علم التجويد ص 48، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري 1/ 47.

من كلام السلف وقال كما قال زيد بن ثابت) :القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول (، وذكر من كلام ابن مسعود *رضي الله عنه* أنه قال) :إني قد سمعت القرَّاء، فوجدتُهم متقاربين فاقرأوا كما عُلِّمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال (وانتهى من ذلك إلى قوله) :ليس لأحد أن يقرأ بمجرد رأيه بل القراءة سنة متبعة (إلى أن قال) :والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف) (1( أي ما أخذ بالتلقي من أفواه أهل التخصص.

وهذا الذي أفتى به شيخ الإسلام، وهو ما عليه جميع علماء القراءة وقد نص عليه غير واحد من أعيانهم:

فقد قال العلامة المحقق الشيخ أبو العاكف محمد أمين المدعو بعبد الله أفندي زادة شيخ الإقراء في وقته باستانبول في كتابه) عمدة الخلان شرح زبدة العرفان في القراءات العشر (ما نصه) :فلا يجوز لأحد قراءة القرآن من غير أخذ كامل عن أفواه الرجال المقرئين بالإسناد. ويحرم تعليم علم القراءة باستنباط المسائل من كتب القوم بمطلق الرأي بغير تلق على الترتيب المعتاد لأن أركان القرآن اتصال السند إلى النبي *صلى الله عليه وسلم* بلا انقطاع فالإقراء بلا سند متصل إليه *عليه الصلاة والسلام* مردود وممنوع عن الأخذ والاتباع) (2(.

وكذلك فإن العلامة المحقق والباحث المدقق فضيلة الشيخ علي محمد الضباع شيخ القرَّاء والإقراء بالديار المصرية الأسبق. لما وقع له ذكر التلفيق في القراءة عظَّم أمره وقال) :هو خلط الطرق بعضها ببعض وذلك غير جائز) (3(.

وقال الإمام النويري *رحمه الله* في شرح الدُّرة) 4() : والقراءة بخلط الطرق أو تركيبها حرام أو مكروه أو معيب) (5(.

وقال القسطلاني في لطائفه) :يجب على القارئ الاحتراز من التركيب في الطرق وتمييز بعضها من بعض وإلَّا وقع فيما لا يجوز وقراءةِ ما لم يُنْزَل) (6(.

وأورد الداني بسنده عن أبي هاشم الرفاعي عن سليم عن حمزة قال) :إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفاً أو قال ما يخطئ حرفاً وما هو من القرآن في شيء) (7(.

قال الداني معقباً على هذه الرواية) :يريد أنه لا يقيم قراءته على حدّها، ولا يؤدي ألفاظه على حقها، ولا يوفّي الحروف صيغتها، ولا ينزلها منازلها من التلخيص والتبيين والإشباع

والتمكين، ولا يميز بين سين وصاد، ولا ظاء ولا ضاد، ولا يفرق بين مشدد ومخفف ومدغم ومظهر، ومفخم ومرقق، ومفتوح وممال، وممدود ومقصور، ومهموز وغير مهموز،

)1 (جامع البيان في تأويل القرآن للطبري 1/ 50، وفضائل القرآن للمستغفري 1/ 371، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي 1/ 299.

)2 (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي 1/ 299.

)3 (المصدر نفسه.

)4 (هي: منظومة للإمام ابن الجزري *رحمه الله* نظم فيها ثلاث قراءات وهي قراءات الأئمة أبي جعفر ويعقوب وخلف العاشر، وسبب نظمها تكملة للشاطبية بحيث تصبح الشاطبية مع الدرة جامعتين للقراءات العشر. وعدد أبياتها) 241 (بيت.

)5 (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي 1/ 299.

)6 (المصدر نفسه.

)7 (المصدر نفسه.

وغير ذلك من غامض القراءة، وخفاء التلاوة الذي لا يعلمه إلَّا المهرة من المقرئين، ولا يميزه إلَّا الحذّاق من المتصدرين الذين تلقوا ذلك أداءً وأخذوه مشافهة، وضبطوه وقيدوه، وميزوا جليّه وأدركوا خفيّه وهم قليل من الناس) (1).

وروي أيضاً عن الداني في كتابه) التحديد في الإتقان والتجويد (بسنده عن هشام بن بكير وكان هو وأبوه من القرَّاء قال) :كنت عند عاصم ورجل يقرأ عليه قال فما أنكرت من قراءته شيئاً قال فلما فرغ قال له عاصم والله ما قرأت حرفاً) (2).

وعقب الداني على هذه الرواية بقوله) :يريد أنك لم تقم القراءة على حدها ولم توف الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القرَّاء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء، وهذا وما قدمناه دال على توكيد علم التجويد والأخذ بالتحقيق والله ولي التوفيق) (3).

وبعد ما تقدم من أقوال العلماء حول منع الخلط كان البحث وقد اسميته) لمسات في بعض المختلف من علم التجويد. (

## خطة البحث

وخطتنا في البحث تتلخص:

1. طرح المسألة المختلف فيها ثم مناقشتها وترجيح الرأي المناسب والمقرر من قبل أهل العلم. ثم ذكر خلاصة ما توصلنا إليه إن احتاج إلى ذلك في كل مسألة بحث.
2. استخدام الصور في مخارج بعض الحروف كوسيلة إيضاح لتجنب الوسائل الخطأ التي بين يدي القارئ.

3. اعتماد مصادر أهل اللغة والأصوات والتجويد في التوصل إلى اللفظ الصحيح في مخارج بعض الحروف التي طال الحديث عنها لاسيما الضاد والحروف الأسلية، وكذلك في إخفاء الميم عند الباء.

4. اعتماد أمهات المصادر والمراجع في بيان الخلاف بين أهل الأداء لا سيما موضوع الياءات بنوعيها، وأحكام الراء التي تقرأ بوجهين، وهاء الصلة .. وغيرها.

5. لم نتناول جميع ما اختلف فيه أهل الأداء سيما في مسائل القراءات لتوسعها وضخامتها، وذلك لأن بحثنا يتعلق ببعض ما اختلف في علم التجويد.

6. ذكر الخلاف في الحواشي وبنقل تام من مصادرها لأهميتها مع ذكر مصادرها لا سيما كتاب النشر للإمام ابن الجزري والكل عيال عليه.

7. جعلنا الكتاب على شكل مباحث ومطالب وكل مبحث يتناول بعض ما اختلف فيه العلماء كمبحث مخارج الحروف وصفات الحروف وأحكام المدود وأحكام الراء ... وغيرها.

(1 الوجيز في حكم تجويد الكتاب العزيز ص 20.

(2 التحديد في الإتقان والتجويد ص 84.

(3 المصدر نفسه ص 85.

هذا؛ فإننا نسأله تعالى أن يوفقنا في الوصول إلى صحيح القول المعتمد الذي لا لبس فيه ولا خلط، فهو خير المعين والهادي إلى سواء السبيل. والحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول

## اللمسات في بعض المختلف من مخارج الحروف

**وفيه المطالب الآتية:**

- اختلاف العلماء في مخرج الضاد أهو من الحروف الشجرية أم هو حرف مستقل بذاته؟
- اللحن الجلي باختلاط مخرج الضاد ببقية الحروف
- التمييز بين مخارج الحروف) **الأسلية** (الصاد، والزاي، والسين
- التفريق بين مصطلحي) **الذَّلْقِية** (و) **الْمُذْلَقَة**(

### المطلب الأول:

### اختلاف العلماء في مخرج الضاد أهو من الحروف الشجْرية أم هو حرف مستقل بذاته؟

**سبب تسميتها بالأحرف الشجْرية:**

سميت بالأحرف الشجْرية لخروجها من شجْر الفم أي منتفخة، ونسبة آلة شجْر الحنك وهو ما يقابل طرف اللسان، فسميت بذلك الانفتاح لإنفتاح الفم عند النطق بها أكثر من غيرها ونّظَّر بعضهم فيه) 1(.

قال السمرقندي) :وسميت شجْرية لأنها تخرج من شجْر الفم، وهو مفرجه ومفتحه، وقيل: الشجْر الذقن بعينه، وقيل: الشجْر ما بين اللحيين) (2(.

وقال المرصفي في هدايته) :ولقبت هذه الأحرف بالشجْرية لخروجها من شجْر الفم وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى في قول. وقيل غير ذلك) (3(.

والحروف الشجْرية تحتل حيزاً واحداً لأن مبدأها من شجْر الفم أي مفرج الفم أي مفتحه والشجْر، مجمع اللحيين عند العنفقة، وفي لسان العرب: العَنْفَقُ: خِفَّةُ الشَّيْءِ، ومنه: العَنْفَقَةُ: لِشُعَيْراتٍ بَيْنَ الشَّفَةِ السُّفْلَى والذَّقَنِ. والعَنْفَقةُ: ما بين الشفة السفلى والذَّقَن منه لخفة شعرها، وقيل: العَنْفَقة ما بين الذَّقَن وطرف الشفة السفلى، كان عليها شَعْراً ولم يكن،

1) (تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين ص 34.

2) (روح المريد شرح منظومة عقد الفريد في علم التجويد ص 62، ولسان العرب: 1/ 396) مادة شجر. (

3) (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري 1/ 72.

وقيل :العَنْفَقَةُ ما نبت على الشَّفة السُّفلى من الشَّعر؛ قال الأزهري) :هي شعرات من مقدّمة الشَّفة السُّفلى ورجل بادي العَنْفَقَةِ إذا عري موضعُها من الشعر . (وفي الحديث: أنه )) كَانَ فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتُ بيضٌ)) (1(.

اختلاف العلماء في شأن مخرج الضاد:

اختلف العلماء في شأن مخرج الضاد، هل هو من الحروف الشجْرية أم من غيرها، فقد جعل الخليل الفراهيدي والزمخشري وابن الجزري وغيرهم الضاد من الحروف الشجْرية، في حين لم يعدَّها السمرقندي وأبو حيان النحوي وغيرهما منها) 2(.

قال الشيخ المرصفي في هدايته عن هذا الخلاف ما نصه) :الحروف الشجْرية - بسكون الجيم - وقد اختلف العلماء في حروف هذا اللقب فذهب البعض إلى أن حروفه ثلاثة، وذهب البعض الآخر إلى أنها أربعة. واختلف القائلون بالأحرف الثلاثة فذهب بعضهم إلى أنها الجيم والشين والياء. وذهب غيرهم إلى أنها الجيم والشين والضاد بإسقاط الياء) (3(.

سبب اختلافهم:

وسبب اختلافهم يعود إلى اختلافهم في مخرج الضاد هل مخرجه من) شجْر الفم (أم من غيره؛ فمنهم من قال أن شجْر الفم هو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى) 4( ، أي مفرج الفم، وقيل هو ما بين اللحيين ... إلى غير ذلك) 5( ، وهو مخرج الأحرف الجيم والشين والياء غير المدية، وهذا الفريق عدَّ الضاد من الأحرف الشجْرية كما قال الخليل في كتابه) العين) : (والضاد شَجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم) (6(.

بينما نجد الفريق المختلف لم يعدّ مخرج الضاد من شجْر الفم - أي ليس من مفرجه-، وقد أشار ابن الجزري إلى هذا الفريق بقوله) :وقال غير الخليل: وهو مجمع اللحيين عند العنفقة، فلذلك لم تكن الضاد منه) (7( . ومن أقوال الفريقين:

الفريق الأول:

قال الخليل الفراهيدي) :والجيم والشين والضاد شجْرية لأن مبدأها من شجْر الفم. أي مفرج الفم) (8(.

وقال الحسيني في معجم تاج العروس) :والجيمُ والشّين والضّاد ثلاثةٌ في حيِّزٍ واحِد، وهي من الحُرُوفِ الشَّجْرِيّة والشَّجْر: مَفْرَجُ الفمِ، ومَخْرَجُ الجِيمِ والكافِ والقافِ بين عَكَدَة اللّسانِ وبينَ اللَّهَاةِ في أقْصى الفَم) (9(.

)1 (لسان العرب لابن منظور حرف) الجيم (5 /205. والحديث في صحيح البخاري 4/ 187 برقم) 3546 (، ومصنف ابن أبي شيبة 5/ 187 برقم) 25063 (، ومسند أحمد 29/ 220 برقم) 17672 (وغيرهم.

)2 (معجم الصوتيات ص 103.

)3 (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري 1/ 72.

)4 (الكتاب لسيبويه 2/ 405، والمقتضب للمبرد 1/ 192، وسر صناعة الإعراب 1/ 60.

)5 (المحكم والمحيط المعظم 7/ 240.

)6 (العين للخليل الفراهيدي 1/ 58.

)7 (النشر في القراءات العشر 1/ 200.

)8 (العين للخليل الفراهيدي 1/ 58.

)9 (تاج العروس من جواهر القاموس 5/ 395.

وفي موضع آخر من معجم التاج) :والضّادُ من) الحُرُوف الشَّجْرِيَّة (ويَجْمَعُها قولك) شضج (، الشين والضاد والجيم) (1(.

وقال الألوسي في تفسيره) :وتسمى الأحرف الشجْرية وهي الجيم والشين والضاد) (2(.

وعدَّ صاحب للآلئ البيان أن حرف الضاد يلقب أيضاً من الحروف الشَّجْرية، وقد أشار إلى ذلك بقوله) :والجيم والشين وياء لقبت ... مع ضادها شجْرية كما ثبت (وبذلك تكون الحروف الشجْرية أربعة) 3(.

وقد أشار ابن الجزري *رحمه الله* إلى أن الضاد من الحروف الشجْرية حيث قال) :الثالث الشجْرية، وهي ثلاثة أحرف: الجيم والشين والضاد، سمين بذلك لأنهن نسبن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم، قال الخليل: الشجْر مفرج الفم، أي مفتحه، وقال غيره الشجْر مجمع اللحيين عند العنفقة) (4(.

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ) :الحروف الشجْرية: وهي ثلاثة: الجيم، والشين، والياء، ويزيد بعضهم الضاد، سميت بذلك لأن مخرجها يحاذي ما بين اللحيين كما

أنه منطبق الفم ومنفرجه، فالشجْر كما قال صاحب القاموس: من الفم مخرجه أو مؤخره أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى اللهزمتين أو ما بين اللحيين) (5).

وجاء عن ابن منظور في لسان العرب أنه قال) :والجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد، وهي من الحروف الشَّجْرية، والشَّجْرُ مَفْرَجُ الفم، ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عَكَدَةِ اللسان، وبين اللَّهاةِ في أقصى الفَم) (6).

وقال الإمام مكي القيسي) :الحروف الشجْرية: وهي ثلاثة أحرف الشين والضاد والجيم سماهن الخليل بذلك لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو مفرج الفم. قال الخليل مفرج الفم أي منفتحه (، وقال غيره) :الشجْر مجمع اللحيين عند العنفقة) (7).

وقال الزمخشري في أساس البلاغة) :ومشتجراً: من شجْر الفم وهو مفتحه. والضاد من الحروف الشجْرية) (8).

وقال المرصفي في هدايته) :ولقبت هذه الأحرف بالشجْرية لخروجها من شجْر الفم وهو ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى في قول. وقيل غير ذلك) (9).

الفريق الثاني:

1) (المصدر نفسه 12/ 142.

2) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي 9/ 82.

3) (غاية المريد في علم التجويد ص 132.

4) (التمهيد في علم التجويد ص 84.

5) (قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود ص 71.

6) (انظر: لسان العرب لابن منظور حرف) الجيم (5 /205.

7) (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص 49.

8) (أساس البلاغة 1/ 494.

9) (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري 1/ 73.

(( (( (

المطلب الثاني:

اللحن الجلي باختلاط مخرج الضاد ببقية الحروف

قد يختلط على بعض المتعلمين مخرج الضاد، فبعضهم يخرجه ظاءً وبعضهم يخرجه طاءً أو تاء أو دالاً أو لاماً مفخمة، وهذا لا يصح لا من قريب ولا من بعيد.

)فالذي يجعله ظاءً: (

يخالف بذلك المعنى في *القرآن الكريم* كما في قوله تعالى } وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) { القيامة: 22 – 23 (، وقوله } وَلَا الضَّالِّينَ) { الفاتحة: 7 (فهنا المعنى يتغير تماماً فإن

أبدل الأولى في الثانية في القول الأول فـ) ناضرة (تعني مستبشرة فرحة مشرفة متهللة، و) ناظرة (تعني مشاهدة رب العالمين يوم الحساب من قبل المؤمنين المخلصين. وفي القول الثاني } وَلَا الضَّآلِّينَ { يحرم أن نجعلهم دائمين باقين، لهذا قال الإمام النووي *رحمه الله* ببطلان الصلاة لمن قرأها بالظاء.

وقال العلَّامة الصفاقسي في كتابه) تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين) : (وقال النووي في الأذكار ولو قال } الضَّآلِّينَ { بالظاء بطلت صلاته على أرجح الوجهين إلَّا أن يعجز عن الضاد بعد التعلم) (1).

وبناءً على هذا قال ابن الجزري في التمهيد) :فمنهم من يجعله ظاءً مطلقاً، لأنه يشارك الظاء في صفاتها كلها، ويزيد عليها بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاءً، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق. وهذا لا يجوز في كلام الله تعالى، لمخالفة المعنى الذي أراد الله تعالى، إذ لو قلنا } الضَّآلِّين { بالظاء كان معناه الدائمين، وهذا

(1) انظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين ص 85. وقال ابن باز *رحمه الله* تعالى) : (الصواب عند المحققين من أهل العلم، أن التباس الضاد بالظاء لا يضر، لا في الصلاة ولا في غيرها؛ لأن مخرجهما متقارب، وليس كل أحد يستطيع التمييز، فالأمر في هذا واسع والحمد له، فلا ينبغي للقارئ ولا لغير القارئ أن يشدد في ذلك، المقرئ وغير المقرئ لا ينبغي التشديد في ذلك، إن تيسر التمييز فلا بأس، وإلَّا فالأمر واسع في ذلك، وممن نبه على هذا الحافظ ابن كثير *رحمه الله* في تفسيره لسورة الفاتحة في آخرها، وقد بين أن الصحيح أنه يعفى عن ذلك، ولا ينبغي فيه التشديد؛ لأن كثيراً من الناس يلتبس عليه الأمر ويصعب عليه التفريق). انظر موقع:

11303ht t p://wwwbi nbaz.or g.sa/nat /

## المطلب الثالث:

التمييز بين مخارج الحروف) الأسَلِيَّة(

الصاد، والزاي، والسين

اعلم أن مخرج الحروف الثلاثة الصاد والسين والزاي من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى، وهذه الأحرف يطلق عليها بـ) الأسَلِيَّة (، لإنها تخرج من أسَلَة اللسان وهو مستدقة. وتسمى أيضاً بحروف) الصفير . (وقيل أن لفظ) الأسَلِيَّة (يطلق على المخرج، ولفظ) الصفير (يطلق على الصفة، ولا فرق لأنهما دلالة على هذه الحروف.

### سبب تسميتها بالأسَلِيَّة:

وسبب تسميتها بالحروف) الأسَلِيَّة (لأنها تخرج من أسلة اللسان أي من تحته. يقول الرازي في المختار) :الأسَل: الشوك الطويل من شوك الشجر، وتسمى الرِّماح: أسلاً) (1).

وقال الزمخشري في أساس البلاغة) :الأسل: هو نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الغرابيل، الواحدة: أسلة، وقيل الرِّماح: الأسل على التشبيه، ولمستدق اللسان والذراع: أسلة) (2(.

وقال ابن منظور في لسان العرب عن مخرج وصفة الزاي) :الزَّايُ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَجْهُورَةِ، وَالزَّايُ وَالسِّينُ وَالصَّادُ فِي حَيِّزٍ وَاحِدٍ، وَهِيَ الْحُرُوفُ الأَسَلِيَّة لأن مبدأها مِنْ أَسَلَةِ اللِّسَانِ) (3(.

وقال عن السين) :وَالسِّينُ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَهْمُوسَةِ، وَمَخْرَجُ السِّينِ بَيْنَ مَخْرَجَيِ الصَّادِ وَالزَّايِ) (4(.

وقال عن الصاد) :الصاد المهملة حَرْفٌ مِنَ الْحُرُوفِ الْعَشَرَةِ الْمَهْمُوسَةِ) (5(.

ثم عقب بعد ذلك فقال) :والزايُ والسينُ والصادُ فِي حَيّز وَاحِدٍ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ أَحْرُف هِيَ الأَسَلِيَّة لأن مَبْنَاهَا مِنْ أَسَلَة اللِّسَانِ، وَهِيَ مُسْتدَقّ طرف اللِّسَانِ، وَلَا تَأْتَلِف الصَّادُ مَعَ السِّينِ وَلَا مَعَ الزَّايِ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ) (6(.

وقال ابن الجزري في النشر) :الْمَخْرَجُ الثَّالِثَ عَشَرَ - لِحُرُوفِ الصَّفِيرِ وَهِيَ الصَّادُ وَالسِّينُ وَالزَّايُ - مِنْ بَيْنِ طَرَفِ اللِّسَانِ فُوَيْقَ الثَّنَايَا السُّفْلَى، وَيُقَالُ فِي الزَّايِ زَاءُ بِالْمَدِّ وَزِيٌّ بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَحْرُفُ هِيَ الْأَسَلِيَّةُ ؛ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ أَسَلَةِ اللِّسَانِ، وَهُوَ مُسْتَدَقَّةُ) (7(.

1) (مختار الصحاح - مادة) اسل (ص 17.

2) (أساس البلاغة للزمخشري ص 12.

3) (لسان العرب لابن منظور 5/ 304.

4) (المصدر نفسه 6/ 3.

5) (المصدر نفسه.

6) (المصدر نفسه 7/ 3.

7) (النشر في القراءات العشر 1/ 201.

خلاف مراد الله تعالى، وهو مبطل للصلاة، لأن) الضلال (هو ضد) الهدى (، كقوله { :ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ) { الإسراء: 67 (، } وَلَا الضَّالِّينَ { ونحوه، وبالظاء هو الدوام كقوله { :ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) { الزخرف: 17 (وشبهه، فمثال الذي يجعل الضاد ظاء في هذا وشبهه كالذي يبدل السين صاداً في نحو قوله { :وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) { طه: 62 (و } وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا) { نوح: 7 (فالأول من السر، والثاني من الإصرار) (1(.

ومخرج) الضاد (يختلف عن مخرج الظاء، فالضاد تخرج من إحدى حافتي اللسان وما يحاذيهما من الأضراس من الجانب الأيسر، أو الأيمن، وهي خمسة أسنان نعّدها من طرف الحلق إلى الناب وهو السادس الذي هو أول مخرج اللام) 2( . ومخرج) الظاء (يخرج من طرف اللسان مع طرفي الثنيتين العليين وهو من الحروف) اللَّثَويّة) (3(.

إذن الفارق كبير بين مخرجي الضاد والظاء، لهذا منع العلماء التساوي بينهما، لأن المعنى يختلف تماماً بين الكلمة التي فيها ضاداً والكلمة التي فيها ظاءً.

والضاد من الحروف الشجْرية والظاء من الحروف اللثوية وقد يعسر مخرج الضاد بينما لا يعسر مخرج الظاء، قال ابن الجزري في صعوبة مخرج الضاد) :واعلم أن هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسر على اللسان غيره، والناس يتفاضلون في النطق به) (4(.

)والذي يجعله طاءً: (

أو يمزجها بالطاء التي هي من الحروف النطعية، وهذا أيضاً من اللحون الجلية، والخلط بينهما يخالف المعنى الصحيح للقرآن، لهذا قال ابن الجزري في هذا الشأن) :ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، لا يقدرون على غير ذلك، وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب) (5(.

)والذي يجعله تاءً: (

أو يقلب التاء طاءً وهذا أيضاً مخالف للمعنى القرآني، قال شريح في نهاية الإتقان: (من العرب من يبدل التاء طاء، ثم يدغم الطاء الأولى فيها فيقول) :أحط (و) فرط (وهذا مما يجوز في كلام الخلق لا في كلام الخالق) (6( . فالتاء من الحروف النطعية، بينما الضاد من الحروف الشجْرية عند أكثر العلماء، لذلك يجب التمايز ومنع الخلط بينهما.

1( (انظر: التمهيد في علم التجويد ص 130. ويرى ابن كثير في تفسيره خلاف ما يراه ابن الجزري في تمهيده فيرى) :أن الصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما، وذلك أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولأن كلا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك . (انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/ 27.

2( (التمهيد في علم التجويد ص 130.

3( (لأنها تخرج من بين طرف اللسان واللثة. انظر: التمهيد في علم التجويد ص 95، ولسان العرب لابن منظور 2/ 109، 3/ 470، 7/ 434، 15/ 240 و 364.

4( (التمهيد في علم التجويد ص 130.

5( (المصدر نفسه ص 131.

6( (انظر: الكتاب لسيبويه 4/ 433، والنشر في القراءات العشر 1/ 159.

)والذي يجعله دالاً:(

فهذا الخلط أيضاً يخالف المعنى، لأن الدال من الحروف) النطعية (وهي التي تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنيتين العليين) 1( . فلو قرأ القارئ { الضَّآلِّين } بـ) الدَّالِّين (فإن المعنى

يتغير تماماً بحيث يجعله على الدَّلالة) 2( وليس على الضلال. وهـذا المـزج يخـالف المعنـى الصحيح للقرآن.

)1 (لأنها تخرج من أسلة اللسان أي ما دق منه ومن بين الثنايا العليا والسفلى. انظر: التمهيد في علم التجويد ص 95.

)2 (جاء في مختار الصحاح - مادة) د ل ل (ص 106: (د ل ل) :الـدَّلِيلُ (مَـا يُسْـتَدَلُّ بِـهِ وَالـدَّلِيلُ الدَّالُّ وَقَدْ) دَلَّهُ (عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ بِالضَّـمِّ) دَلَالَـةً (بِفَـتْحِ الـدَّالِ وَكَسْـرِهَا وَ) دُلُولَـةً (بِالضَّـمِّ، وَالْفَتْحُ أَعْلَى. وَيُقَالُ) :أَدَلَّ (فَأَمَلَّ وَالِاسْمُ) الدَّالَّةُ (بِتَشْدِيدِ اللَّامِ.(

وقال الإمام الشاطبي في حرز الأماني البيت) 1156) : (وَصَادُ وَسِينُ مُهْمَـلانِ وَزَايُهـا ... صَـفِيرُ وَشِينُ بِالتَّفَشِّي تَعَمَّلا) (1(.

وهذه الثلاثة هي الحروف الأَسَلِيَّة، قال ابن مريم ... ) :وإنما يقـال لهـا حـروف الصـفير؛ لأنـك تُصَّفِرُ عند اعتمادك على مواضعها. قال مكي: والصفر حد الصوت كالصوت الخارج من ضغطة ثقب) (2(.

وقال النحاس في إعراب القرآن) :والسين والصـاد والـزاي مـن موضـع واحـد. يسـمّين حـروف الصفير) (3(.

وقال المرصفي عن مخرج الحروف الأَسَلِيَّة) :طرف اللسان ومن فوق الثنايا السفلى مع إبقـاء فرجة قليلة بين طرف اللسان والثنايا عند النطق ويخـرج منـه ثلاثـة أحـرف: الصـاد فـالزاي فالسين) (4(.

التمييز بين حروف الأَسَلِيَّة:

ولغرض التمييز بين الحروف) الأَسَلِيَّة (الصـاد والـزاي والسـين، لابـد مـن مراعـاة مخـارج هـذه الحروف الثلاثة وصفاتها؛ فالصاد حرف مهموس رخو مستعلٍ مطبق مصمت. والـزاي والسـين حرفان جهوريان رخوان مستفلان منفتحان مصمتان.

فهنا يتفـق الـزاي والسـين في جميـع الصـفات ويختلفـان عـن الصـاد في أربعـة: الهمـس والاستعلاء والاطباق والاصمات، لهذا عند النطق بالصاد ترتفـع طائفـة اللسـان مـن مخرجـه باتجاه الحنك الأعلى قليلاً بينما النطق بالسين يكون بانخفاض طائفة اللسان نحـو الحنـك الأسفل، وتكون الزاي بينية بحيث لا يرتفع اللسان ولا ينخفض، وكل هذه الحروف تخـرج مـن طرف اللسان من تحته.

قال الأزهري) :لَا تأتلف الصَّادُ مَعَ السِّينِ وَلَا مَعَ الزَّايِ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ) (5(.

ومن الخلط الذي يحصل لدى بعض القرَّاء لاسيما أئمة المساجد غير المجـازين مـن المشـايخ، مثلاً في كلمة } المستقيم { يخلطون بين السين والصاد فيجعلونها) المصتقيم (وذلك برفع طائفة اللسان باتجاه الحنك الأعلى قليلاً فيحدث الخلط والتركيب. وكذلك يقرأون } الأسباط {بـ) الأصباط (، ويقرأون } ويبسُطُوا { بـ) ويبصطوا ... (إلى غير ذلك. والسبب يعود إلى وجود

حرف استعلاء بعده. لهذا يستحسن بهؤلاء تجنب هذا الخلط بتصويبها وطلبها من أفواه المشائخ الحاذقين بتعلم مخرجها وما يرافقها من صفات.

**مراتب الحروف الأسلية:**

كما تقدم من تعريف الحروف الأسلية الثلاثة الصاد والزاي والسين، فإن أقوى هذه الحروف هو الصاد لأن فيه صفتي الإستعلاء والإطباق، ثم يليه الزاي لجهره، ثم السين لضعفه لما فيه من صفة الهمس دون غيره. قال الداني في التمهيد:

1) (إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة ص 735.
2) (النشر في القراءات العشر 1/ 201.
3) (إعراب القرآن للنحاس 4/ 247.
4) (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري 1/ 18.
5) (لسان العرب لابن منظور 5/ 304.

(حروف الصفير، وهي ثلاثة: الزاي والسين والصاد سميت بذلك لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير، فالصفير من علامات القوة، والصاد أقواها للإطباق والاستعلاء اللذين فيها، والزاي تليها لجهر فيها، والسين أضعفها لهمس فيها) (1).

**وقال الشيخ المرصفي) :وأقوى تلك الحروف في الصفير الصاد لاستعلائها وإطباقها ثم الزاي لجهرها ثم السين لهمسها) (2).**

1) (التمهيد في علم التجويد ص 91.
2) (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري 1/ 83.

(والذي يجعله لاماً مطبقة:)

فهذا أيضاً غير صحيح، لأن اللام من الحروف) **الذلقية** (وهي التي تخرج من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرفه وما بينهما وبين ما يليه من الحنك الأعلى بعد مخرج الضاد) 1( .
والضاد يخالفها بالمخرج والصفة. ومثل هذا يحدث عند الأخوة النيجيريين وبعض من يصعب عليه بإن يجعلوا الضاد لاماً مغلظة، وهذا غير صحيح البتة.

**مخرج الضاد:**

**والضاد عند سيبويه) :من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد) (2(** .
وتابع أبو حيان النحوي سيبويه في طريقة إخراج الضاد إذ قال) :**المخرج السابع وهو الضاد وهي أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر أو الأيمن عند الأقل، وكلام سيبويه يدل على إنها من الجانبين خلافاً لمن ذهب إلى أنها تختص بالجانب الأيمن، وخلافاً للخليل في زعمه أنها شجْرية من مخرج الجيم والشين) (3(.**
**وأما مخرج الضاد عند المبرد فيقول) :مخرجها من الشدق زاوية الفم من باطن الخدين) (4(.**

والضاد عند ابن جني) :ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلَّا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر) (5).

وجاء في غاية المريد عن مخرج الضاد ما نصه) :إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس العليا اليسرى أو اليمنى، ويخرج منه الضاد، وخروجه من اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالاً، ومن الجانبين معًا أعز وأعسر، وبالجملة فالضاد أصعب الحروف وأشدها على اللسان، ولا توجد في لغة غير العربية؛ ولذلك تسمَّى لغة الضاد) (6).

وصوت الضاد هو أصعب الأصوات العربية نطقاً لذلك نجد اختلافاً في طريقة نطقه فمنهم من ينطقه من الجانب الأيمن) 7( ، ومنهم من يرى أنه من إحدى حافتي اللسان) 8(.

ولم يختلف علماء التجويد عن غيرهم في مخرج الضاد، قال أبو طالب المكي القيسي) :فلابد للقارئ المجوِّد أن يلفظ بالضاد منخفضة مستعلية مستطيلة فيظهر صوت خروج الريح عند ضغط حافة اللسان بما يليه من الأضراس عند اللفظ بها) (9).

1) (ذلق اللسان: طرفه، وأحرفه ثلاثة، الراء واللام والنون، وسميت هذه الأحرف ذلقاً، لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسل اللسان، انظر: لسان العرب لابن منظور 10/ 109، والقاموس المحيط 1/ 1143، وتاج العروس من جواهر القاموس 1/ 6320.

2) (الكتاب لسيبويه 4/ 433.

3) (ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان 1/ 6.

4) (انظر: المنجد في اللغة ص 379.

5) (سر صناعة الإعراب 1/ 52.

6) (غاية المريد في علم التجويد ص 129.

7) (انظر: شرح شافية ابن الحاجب للاستربادي 3/ 257.

8) (المصدر نفسه 3/ 252.

9) (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ص 158 – 159.

وأحسب أن نطق الضاد من إحدى حافتي اللسان مع ما يليه من الأضراس، من أي جهة يحس بها أيسر وأسهل وأخف ولا يشترط في جهة محددة. لهذا كان عمر بن الخطاب *رضي الله عنه* يتكلفها من الجانبين، وهذه هي صفة الماهر بالنطق بحروف اللغة العربية.

قال الدكتور أيمن رشدي سويد) حفظه الله (في مخرج الضاد: (يخرج الضاد من حافة اللسان اليمنى أو اليسرى أو منهماً معاً مع ما يحاذيه من الأضراس العليا. هذا الحرف وهو حرف الضاد، فإن كل المنطقة تنقفل فلا يبقى مجال للصوت أن يمر، فلما ينقفل، فالهواء الخارج من القصبة الهوائية يدفع اللسان ويصير خلف اللسان هنا هواء ضاغط - قوة ضاغطة - يضغط الهواءُ اللسانَ قليلاً إلى الأمام فيندفع اللسان تحت تأثير الهواء الضاغط قليلاً إلى الأمام إلى أن يصل منتهى رأسه إلى منطقة التقاء اللحم بالأسنان من الداخل) لحم اللثة (من الداخل، فلما يتقدم اللسان هكذا فإن كمية الهواء المحجوزة خلف اللسان

تستطيل وتربو وتزيد، وأن) **است** (من) **استطالة** (في اللغة العربية للطلب، واستطال طلب الطول، فإن كمية الهواء المحجوزة هنا خلف اللسان تصير كبيرة عند بدأ التصويت بالضاد .... فلو اتكأ عند النطق بالضاد على منطقة التلامس من غير ضغط فسوف يخرج الصوت دالاً مفخمة، وليس في اللغة العربية دال مفخمة إنما الدال مرققة(

والرسم الآتي يبين مخرج الضاد كما أشار إليه الدكتور الشيخ أيمن رشدي سويد:

المقارنة بين القدامى والمحدثين حول كيفية النطق بحرف الضاد:

لقد أجرى أحد المشايخ مقارنة بين العلماء المحدثين والقدامى حول كيفية النطق بحرف الضاد، فيقول فيه) 1( : إن صوت الضاد عند المحدثين يختلف عن موضع نطقه القديم، قال الدكتور إبراهيم أنيس: (فالضاد الحديثة صوت شديد
مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً هو الضاد كما ننطق بها في مصر) (1(.
**والضاد عند الدكتور كمال محمد بشر بأنها**) :النظير المجهور للطاء، فلا فرق بينهما إلَّا أن الطاء صوت مهموس والضاد صوت مجهور. كما أنه لا فرق بين الدال والضاد إلَّا أن الضاد مطبق) **مفخم** (والدال لا إطباق فيه) (2(.
فالضاد عندهم صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم مطبق) 3(.
وهنا يورد الدكتور كمال محمد بشر عدة احتمالات لإضمحلال صوت الضاد التي وصفها سيبويه وعلماء التجويد، وخلط هذا الصوت بأصوات مجاورة له يقول: (أولاً: وأهمها في نظرنا، أننا لم نسمع هذا الصوت منطوقاً من كل أولئك الذين وصفوه بطريقتهم، بدءاً من سيبويه وتابعيه. ومن المقرر أن أصوات اللغة بالذات لا يمكن تعريفها تعريفاً دقيقاً أو الوقوف على خواصها إلَّا بالسماع لمنطوق واقع بالفعل وأنى لنا ذلك؟ فمعيار الحكم الصحيح غائب) **وهو النطق الفعلي** (، وفي غيابه مظنة الخطأ أو الخلط في التطبيق) 4( .
ثانياً: إن ترجمة الوصف الذي قدمه السابقون ترجمة نطقية وأداءً فعلياً فيه قدر كبير من الصعوبة إذ هو وصف متأرجح ينحو بخواص الصوت نحو سمات أصوات أخرى، وبخاصة الظاء واللام، فالضاد في وصفهم صوت رخو) **احتكاكي** (فاقترب من الظاء، وهو جانبي فاختلط باللام) ( ... 5(.

وقد ناقش هذا الشيخ أحمد جاسم محمد آراء الدكتور كمال محمد بشر من وجهتين:

**الأولى** :يبدو أن الدكتور قد التبست عليه قضية مهمة وهي أن القراءات القرآنية وصلت إلينا بالتواتر والنقل، وقد نفى الدكتور هذا التواتر بقوله) :**إننا لم نسمع هذا الصوت منطوقاً من كل أولئك الذين وصفوه بطريقتهم، بدءاً من سيبويه وتابعيه**) (6(.

بيد أن تواتر القراءات قضية قد أجمع عليها المسلمون ولا أحد ينكرها فما نطق في زمن الرسول الأكرم *صلى الله عليه وسلم* ما زال حياً وينطق في وقتنا الحاضر بدليل التواتر والمشافهة المباشرة من قبل المتقن المجيد للقراءات القرآنية، وهذا الذي نستمع إليه في كثير من دول العالم الإسلامي وخاصة عند قرَّاء العراق الذين سمعت منهم وأخذت عنهم القراءة بالمشافهة. فهو يمثل نطق الضاد العربي الأصيل. كما حدده سيبويه. ويدل على أن للضاد مخرجاً متميزاً لا يزال حياً حتى الآن، وإن استعصى على ألسنة غير القرَّاء من الناطقين بالعربية، فنطقوه ملتبساً بأصوات أخرى) 7(.

)1 (الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص 49.

)2 (علم الأصوات لكمال بشر ص 253، 118، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران ص 130.

)3 (انظر: علم الأصوات لكمال بشر ص 253.

)4 (المصدر نفسه ص 260.

)5 (المصدر نفسه.

)6 (المصدر نفسه.

)7 (انظر: أصوات اللغة العربية لعبد الغفار حامد هلال ص 158 ـ 159.

**والثانية** :الحقيقة إن رأي الدكتور في خصوص صعوبة نطق هذا الصوت صحيح ولا غبار عليه، ولكن وصفه بأنه) **ينحو بخواص الصوت نحو سمات أصوات أخرى، وبخاصة الظاء واللام**) (1( يكون صحيحاً مع الظاء إذا فقد الضاد صفة الاستطالة، ولعل السبب وراء ذلك أنه أغلب الصفات تجمع الصوتين كـ) **الجهر، والإستعلاء، والإطباق، والرخاوة، والاصمات** (إذن ما يميز صوت الضاد هو تأخر النطق بها وهي صفة الاستطالة، وليس مثله مع اللام لأنها تمتاز بصفة الانحراف وصوت الضاد فاقد لصفة الانحراف ولكن عند النطق به مع الاستطالة سوف تدنو حافة اللسان قرب مخرج اللام مما التبس على البعض أن صوت الضاد فيه شيء من الإنحراف؛ إذن العامل الأساسي لهذا الصوت هو الاستطالة ولو انتفت هذه الصفة كان كلام الدكتور صائباً ولا إشكال فيه. وقد أعجب بعض المحدثين وهو) **جان كانتينو** (بوصف القدمى للضاد أنه كان) **وصفاً حسناً كافياً نوعاً ما**) (2(.

وردَّ الشيخ أيضاً على ما ادعاه الدكتور غانم قدوري الحمد بأنه) :**لم يعد تحديد سيبويه مخرج الضاد بأول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مطابقاً لنطق الضاد في زماننا، مما يستدعي وضع الضاد في مخرج واحد مع الطاء والتاء والدال**) (3( . بقوله: (وأعتذر للأستاذ الدكتور غانم قدوري الحمد بأن دعواه غير مقبولة وضعيفة لسببين:

**الأول** :مخرج الضاد كما وصفه الدكتور فيه اضطراب ووهم وينبغي اعادة النظر فيه كما عبّر عنه أستاذي الشيخ مضر الصحاف) 4( . فقد شاع بين أوساط علماء الأصوات المحدثين، ويجب إعادة النظر فيه، والدليل على ذلك لو أردنا أن ننطق صوت الضاد بجوار صوت الطاء لما

استطعنا ذلك! في نحو { المضطر ، } فرضْتُم { لوجب عليك إدغام الضاد مع الطاء والتاء؛ لأنهما من نفس المخرج فتصبح عندئذ) المطَّر (،) فرتُّم (، وهذا غير وارد في الاحكام التجويدية في قراءة *القرآن الكريم*

**والثاني** :والسبب الآخر أننا نبحث في علم التجويد ما كان ينطق في زمن الرسول *صلى الله عليه وسلم*، ولا نعير أهمية لما جرت عليه اللغة من تطور لأي سبب كان، فبما أن النطق القديم لصوت الضاد هو ما ذكره سيبويه وعلماء التجويد بعده فهو المقبول والمعول عليه. وقد ينطق صوت الضاد كما وصفه المحدثون في بعض الدول العربية.(

ومن خلال بحثنا في هذا الموضوع وجدنا الكثير من الكتاب تعرّضوا لمقالة المستشرق الألماني) **براجستراسر** (في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية سنة 1929 م والتي تحدث فيها عن حرف) **الضاد** (قائلاً: (وأما رابعها وهي الضاد، فهي الآن شديدة عند أكثر البدو ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق؛ لأن مخرج الضاد في جدول المخارج من حافة اللسان، ومن القدماء من يقول من جانبه الأيسر ومنهم من يقول من الأيمن ومنهم من يقول من كليهما فمخرجها قريب من مخرج اللام الذي هو أيضاً من حافة اللسان وذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام من بعض الوجوه والفرق بينهما هو أن الضاد من الحروف المطبقة كالصاد وأنها من ذوات الدوي واللام غير مطبقة صوتية محضة؛

)1 (علم الأصوات لكمال بشر ص 260.

)2 (انظر: دروس في علم أصوات العربية لجان كانتينو ص 85.

)3 (انظر: المدخل إلى علم الأصوات العربية لغانم قدوري ص 93.

)4 (الشيخ مضر الصحاف أستاذ القراءات العشر وخبير في علم التجويد.

فالضاد العتيقة حرف غريب جداً، غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلَّا العربية ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد، ويغلب على ظني أن النطق العتيق للضاد نطقاً قريباً منه جداً عند أهل حضرموت وهو كاللام المطبقة ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ولذلك استبدلها الأسبان بالـ (LD) في الكلمات العربية المستعارة في لغتهم مثال ذلك كلمة) **القاضي** (صارت في الإسبانية (ALCALDE) ومما يدل أيضاً على أن الضاد كانت في نطقها العتيق قريبة من اللام، أن الزمخشري ذكر في كتاب) **المفصل** (أن بعض العرب كانت تقول) :**الطجع** (بدل) **اضطجع** . (ونشأ نطق الضاد عند البدو من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه ونطقها عند أهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط فصار الحرف بذلك في نطقه شديداً بعد أن كان رخواً) (1).

إن براجستراسر يرى في موسوعته الصوتية أن هذا تطور في النطق بحرف الضاد حسب التغير الحاصل في بنية الشخص العربي، وهي وجهة نظر صائبة في بعض الأحيان عند

الكلام في غير القرآن، ولكن الذي يقرأ *القرآن الكريم* لابد له من تمييز الضاد عن الظاء وعن الدال وعن اللام المطبقة وعن التاء والطاء، ومن خلال تتبعنا لبعض القرَّاء غير المجازين لاسيما بعض أئمة المساجد وجدنا أن الضاد تخرج غير صحيحة بل هو الصوت البديل والأسهل للضاد الحقيقية أو القديمة، ولذلك فإن صوت الضاد الحقيقي ينتج عن قرع حافة اللسان أصول الثنايا العليا من الجهة اليسرى على الأكثر واليمنى على الأقل، وبالتحديد فإن اللسان يقرع أصول ثلاثة من الأسنان هي) الرباعي، والناب، والضاحك (وهي الأسنان الثلاثة التالية للثنايا يمنة، أو يسرة وهنا يظهر حرف الضاد الحقيقي المعروف عند العرب قديماً وهو يشبه إلى حد ما حرف الضاد الذي ينطق في مصر وبلاد الشام اليوم. ولكن ما يفعله هؤلاء ليس هو الضاد السليمة، لأن الحرف المنطوق اليوم يخرج نتيجة لالتصاق بطن اللسان أو معظمه بالسقف الملاصق لأصول الثنايا فربما خرج ممزوجاً بالدال، أو الطاء، أو اللام، مع أن ما فصله العلماء فيه يعطيه الوضع الأتم.

فهؤلاء يتخالفون عند النطق بالضاد. فالذي يجعله ظاءً مطلقاً فإنه يشارك الظاء في صفاتها كلها ويزيد عليها صفة الاستطالة فلولا هذه الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاءً كما يقول بعض العلماء. والذي ينطقه لاماً فإنه قلب الضاد من كونه حرفاً شجرياً إلى حرف ذلقي وشاركه بعض الصفات، ومن نطقه دالاً أو طاءً فإنه قلبه من كونه شجرياً إلى نطعي وكذلك شاركه بعض الصفات التي هي ليست للضاد، وإلى هذا أشار ابن جني *رحمه الله* في كتاب) التنبيه) (2( وغيره من أن بعضاً من العرب من يجعل الضاد ظاءً مطلقاً في جميع كلامهم، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك ... ومنهم من يخرجها لاماً مفخمة ... إلى غير هذا.

وقد يصعب على القارئ أيضاً إذا أتى بعد الضاد حرف إطباق، فإنه يجب عليه التحفظ بلفظ الضاد لئلا يسبق اللسان إلى ما هو أخف عليه وهو الإدغام كقوله تعالى } :فَمَنِ اضْطُرَّ {في) البقرة: 173 (وغيرها، وقوله } :ثُمَّ أَضْطَرُّهُ { في

)1 (انظر: التطور النحوي لبراجستراسر ص 19.

)2 (انظر: التمهيد في علم التجويد لابن الجزري ص 82 نقلاً من كتاب التنبيه على شرح مشكلات الحماسة لابن جني.

)البقرة: 126)، وإذا سكنت الضاد وأتى بعدها حرف من حروف المعجم فلا بد من المحافظة على بيانها وإلَّا بادر اللسان إلى ما هو أخف منها نحو قوله تعالى } :أَفَضْتُمْ { في) البقرة: 198 (، وقوله } :خُضْتُمْ) { التوبة: 69) (1(.

وهذا الخلط بين الضاد وهذه الحروف غير جائز في كتاب الله *عز وجل* ويغتفر في غيره، فعلى القارئ أن يتقن مخرج الضاد لأن ابن مسعود *رضي الله عنه* قال) :فاقرؤوا القرآن كما علمتم) (2(.

اختلاف العلماء في أن الضاد القديمة تختلف عن الضاد الحديثة:

اختلف أهل العلم في شأن الضاد إلى أن الضاد القديمة هي ليست الضاد التي ننطقها اليوم، لأن الضاد الحديثة هي التي تعد المقابل المفخم للدال، أي أنه صوت شديد مجهور مفخم، ينطق بنفس الطريقة، التي تنطق بها الدال، مع فارق واحد، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق، في النطق بصوت الضاد. وعلى هذا فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال.

ومن خلال وصف القدماء لمخرج الضاد من النحويين واللغويين وعلماء التجويد، تبين لنا أن الضاد القديمة تختلف عن الضاد الحديثة، في أمرين جوهريين:

**الأول** :أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة، بل حافة اللسان أو جانبه.
**والثاني** :أنها لم تكن انفجارية شديدة، بل كانت صوتاً احتكاكياً رخواً. فقد عدها الخليل بن أحمد الفراهيدي في حيز الجيم والشين، وهما من الأصوات الغارية، فقال وهو يذكر أحياز الحروف) :ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد) (3).
ويقول سيبويه عن مخرج الضاد) :ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد) (4).
ويوضح ذلك المبرد فيقول) :الضاد ومخرجها من الشدق، فبعض الناس تجري له في الأيمن، وبعضهم تجري له في الأيسر) (5).
ويقول ابن جني) :ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد، إلَّا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر) (6).
والذي يتضح من هذه النصوص، أن الفرق الأول بين الضاد القديمة والضاد الحديثة أنها كانت جانبية، وليست أسنانية لثوية. أما الفرق الثاني؛ وهو أنها لم تكن انفجارية، بل احتكاكية أو رخوة، فعليه يُقَّسم سيبويه الحروف بقوله) :ومنها الرخوة وهي: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء) (7).

1) التمهيد في علم التجويد ص 130.
2) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري 1/ 50، وفضائل القرآن للمستغفري 1/ 371، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي 1/ 299.
3) انظر: العين للخليل الفراهيدي 1/ 64.
4) الكتاب لسيبويه 4/ 433.
5) المقتضب للمبرد 1/ 193
6) سر صناعة الإعراب 1/ 52.
7) انظر: الكتاب لسيبويه 2/ 406.

وقد عُرف أن الضاد التي ينطقها المصريون هي المقابل المطبق أو المفخم للدال، فالدال صوت ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت الضاد، مع فارق واحد، وهو أن مؤخرة اللسان، ترتفع قليلاً في اتجاه الطبق عند نطق الضاد، ولا يحدث مثل ذلك مع الدال.

أما الضاد القديمة، فلا يقابلها شيء من الأصوات؛ إذ يقول سيبويه) :ولولا الإطباق ... لخرجت الضاد من الكلام؛ لأنه ليس شيء من موضعها غيرها) (1).

وعلى هذا القول؛ فالضاد الحديثة، ليست هي الضاد القديمة، التي كانت عند العرب القدماء، وإنما هي تطور عنها.

ويعضد هذا قول الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول) :يستدل من وصف القدماء لهذا الصوت، على أن الضاد كما وصفها الخليل ومن نحا نحوه، تخالف تلك الضاد التي ننطق بها الآن؛ إذ معها ينفصل العضوان المكونان للنطق انفصالاً بطيئاً نسبياً، ترتب على أن حل محل الانفجار الفجائي انفجار بطيء، نلحظ معه مرحلة انتقال بين هذا النوع من الأصوات، وما يليه من صوت لين، فإذا نطق بالضاد القديمة، وقد وليتها فتحة مثلاً، أحسسنا بمرحلة انتقال بين الصوتين، تميز فيها كل منهما تميزاً كاملاً هذا إلى أن الضاد، كما وصفها القدماء، كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبي عن يسار الفم عند أكثر الرواة، أو عن يمينه عند بعضهم، أو من كلا الجانبين، كما يستفاد من كلام سيبويه. والذي نستطيع تأكيده هنا، هو أن الضاد القديمة، قد أصابها بعض التطور، حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر ... ولا يزال العراقيون حتى الآن، وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد، يشبه إلى حد ما الظاء، كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف، الذي روي لنا عن الضاد القديمة. والذين مارسوا التعليم في بلاد العراق يذكرون، كيف يخلط التلاميذ هناك بين الظاء والضاد. والضاد القديمة -كما أتخيلها- يمكن النطق بها، بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة، ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى، فيها شيء من شدة الضاد الحديثة، وشيء من رخاوة الظاء العربية، ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة) (2).

ويبدو من وصف القدماء لها، ومن تطورها في بعض اللهجات واللغات، أنها كانت لاماً مطبقة، كما يقول) برجستراسر (، وكما يبدو أنها كان فيها بعض الشبه بالظاء والضاد، وإلَّا ما تطورت في اتجاه كل واحد من هذين الصوتين، في اللهجات العربية الحديثة.

وأما قول الدكتور كمال بشر وما ذهب إليه، من احتمال أن يكون القدماء قد) وصفوا الضاد المولدة، لا الضاد العربية الأصلية) (3).

ولعل السر في إطلاق لغة الضاد على اللغة العربية، فإنه يكمن في أن هذه الضاد، كانت مشكلة عويصة بالنسبة لمن يريد أن يتعلم العربية من الأعاجم. يقول ابن الجزري: (والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان

)1 (المصدر نفسه.
)2 (الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص 49، وانظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي لرمضان عبد التواب ص 66.
)3 (انظر: علم اللغة العام – الأصوات ص 137.

مثله، فإن ألسنة الناس فيه مختلفة، وقل من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاما مفخمة، ومنهم من يشمه الزاي. كل ذلك لا يجوز) (1(.
ويقول الدكتور إبراهيم أنيس أيضاً) :يظهر أن القديمة، كانت عصية النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة، مما يفسر تلك التسمية القديمة لغة الضاد، كما يظهر أن النطق القديم بالضاد، كان إحدى خصائص لهجة قريش) (2(.
)1 (النشر في القراءات العشر 1/ 219
)2 (الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص 50.

وكل ما ذكره ابن الجزري والدكتور إبراهيم أنيس له نظائر في كتب العرب نذكر بعضها:

-فمن أمثلة الضاد والظاء؛ ما حكاه أبو الطيب اللغوي من قوله) :الحضل والحظل : (فساد يلحق أصول سعف النخل) 1(.
-ومن أمثلة الضاد والذال) :ما ينبض له عرق نبضاً (، و) ما ينبذ له عرق نبذاً (، و) قد نبض العرق ينبض (، و) نبذ ينبذ إذا ضرب) (2(.
-ومن أمثلة الضاد واللام) :تقيض فلان أباه وتقيله (، تقيضاً، وتقيلاً: إذا نزع إليه في الشبه) 3(.
-ومن أمثلة الضاد والزاي) :أنا على أوفاز (، و) على أوفاض (، أي على عجلة) 4(.
ويحدثنا اللغويون عما سموه بـ) الضاد الضعيفة (، وهو مظهر من مظاهر عدم تمكن بعض العرب القدماء، من نطق الضاد التي عرفنا وصفها من قبل، يقول ابن يعيش) :والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاء، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها، فلم يتأت لهم، فخرجت بين الضاد والظاء) (5(.
ومن الأخبار التي تؤكد لنا أن بعض الناس كانوا يخلطون الضاد بالظاء ما روى أبو علي القالي أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب *رضي الله عنه* يا أمير المؤمنين، أيضحى بضبي؟ قال: وما عليك لو قلت: بظبي؟! قال: إنها لغة. قال: انقطع العتاب، ولا يضحى بشيء من الوحش) 6( ، وكما سجل الجاحظ مثل هذا الخلط بين الضاد والظاء فقال) :وزعم يزيد مولى ابن عون، قال: كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء، فكان إذا دعاها، قال: يا ضمياء

بالضاد، فقال ابن المقفع: قل: يا ظمياء! فناداها: يا ضمياء، فلما غير عليه ابن المقفع، مرتين أو ثلاثاً، قال له: هي جاريتي أو جاريتك؟) (!7(.

ومأخوذ من *القرآن الكريم*، وهو } :الضنين { في) التكوير: 24 (، فقد قرأها كثيرون بالظاء مكان الضاد } الظنين { ، التي رسمت بها في كل المصاحف. وممن قرأها بالظاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي) 8(.

ومما لا شك فيه، أن العرب القدامى في البيئة القرشية، كانوا يفرقون بين الضاد والظاء، بدليل أن الكتابة العربية، التي شاعت أول ما شاعت في قريش، فرقت بين الصوتين في الصورة الموضوعة لكل واحد منهما.

1) انظر: الإبدال لأبي الطيب 2/ 270

2) انظر: المصدر نفسه 2/ 16

3) انظر: المصدر نفسه 2/ 277

4) انظر: المصدر نفسه 2/ 138

5) انظر: شرح المفصل للزمخشري لابن يعيش 10/ 127 وانظر كلاماً غير مفهوم عن هذه الضاد الضعيفة في الكتاب لسيبويه 2/ 404.

6) انظر: ذيل الأمالي والنوادر للقالي ص 143، وانظر الخبر برواية أخرى في) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (للسيوطي 1/ 562 - 563.

7) انظر: البيان والتبيين للجاحظ 2/ 211.

8) انظر: التطور النحوي لبراجستراسر ص 11.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس) :لا يخالجنا الآن أدنى شك في أن العرب القدماء كانوا في نطقهم يميزون هذين الصوتين، تمييزاً واضحاً، ولكنهم فيما يبدو، كانوا فريقين: فريق يمثل الكثرة الغالبة، وهؤلاء هم الذين كانوا ينطقون بهما ذلك النطق، الذي وصفه سيبويه. أما الفريق الآخر، فكان يخلط بين الصورتين ... وهذا الخلط الذي وقع في بعض اللهجات المغمورة، إنما كان سببه أن هذين الصوتين - على حسب وصف سيبويه لهما - يشتركان في بعض النواحي الصوتية، أو بعبارة أخرى، كان وقعهما في الآذان متشابهاً. ولعل مما يستأنس به لهذا التشابه بين الصوتين في النطق القديم، وقوعهما في فاصلتين متواليتين من فواصل *القرآن الكريم*) 1( ، مثل ما جاء في قوله تعالى } :فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْأِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) { فصلت: 50 - 51) (2(.

ولعل هذا الخلط بين صوتي الضاد والظاء، قد شاع في القرن الثالث الهجري، وكان هذا هو السر فيما ذهب إليه أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، اللغوي المشهور) ت 231 هـ (من أنه يجوز عند العرب، أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فقد روى ابن خلكان، أن ابن الأعرابي كان

يقول) :جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء، فلا يخطئ من يجعل هذه في موضع هذه وينشد: إلى الله أشكو من خليل أوده ... ثلاث خصال كلها لي غائض بالضاد بدل غائظ، ويقول: هكذا سمعته من فصحاء العرب) (3(.

ويقول ابن جني في سر صناعة الإعراب إن ذلك ليس من باب المعاقبة، وإنما هي مادة أخرى) :ويجوز عندي أن يكون غائض غير بدل. ولكنه من غاضه، أي نقصه، فيكون معناه: ينقصني ويتهضمني) (4(.

وفي نهاية هذا المبحث نقول أن الأمر يستند إلى أصليين مهمين لأجل المحافظة على نطق الضاد كما نزل بها *القرآن الكريم* وهما:

**الأول** :أن قراءة النبي *صلى الله عليه وسلم* لا زالت كما هي، وذلك لأن القرآن ورد إلينا بالتواتر والنقل، ولا زال غضاً طرياً كما نزل. لهذا يستلزم على جميع القرَّاء الإعتماد على شيوخ القراءات وعلماء التجويد المجازين بأخذ لفظ الضاد منهم، وهذا مطلب عظيم جداً.

**والثاني** :أن توزيع الحروف على اللسان العربي لم تكن من قبيل الاجتهاد والرأي، إنما هو منة من الله *سبحانه وتعالى*، فقد اختلفوا حول أول من تكلم العربية، فقد ورد بسند ضعيف أن الله *عز وجل* فتق لاهة إسماعيل *عليه السلام* بالعربية، لما

)1 (مجلة العرب: معنى القول المأثور لغة الضاد للدكتور إبراهيم أنيس ص 118 و 119.

)2 (انظر: التطور النحوي لبراجستراسر ص 11، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب 2/ 364، ويرى المفسرون أن المعنى مختلف على القراءتين، فهي بالضاد بمعنى) :بخيل (، وبالظاء بمعنى) :متهم . (وانظر الكشف في الموضع السابق، وتفسير القرطبي 19/ 242 130، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء لأبي البركات بن الأنباري ص 97.

)3 (انظر: وفيات الأعيان وأبناء الزمان 3/ 433.

)4 (انظر: سر صناعة الإعراب 1/ 222.

رُوي عن ابن عباس *رضي الله عنهما* أن أول من تكلم بالعربية المحضة إسماعيل) 1( ، وقيل إبراهيم *عليهما السلام*) 2( ، وقال القرطبي في تفسيره ما نصه: (أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِاللُّغَاتِ كُلِّهَا مِنَ الْبَشَرِ آدَمُ *عَلَيْهِ السَّلَامُ*، وَالْقُرْآنُ يَشْهَدُ لَهُ قَالَ الله تعالى } :وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ) {البقرة: 31 (وَاللُّغَاتُ كُلُّهَا أَسْمَاءُ فَهِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَهُ وَبِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ، قَالَ *صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ* )) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا حَتَّى الْقَصْعَةَ وَالْقُصَيْعَةَ (( وَمَا ذَكَرُوهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ *عَلَيْهِ السَّلَامُ* إِسْمَاعِيلُ *عَلَيْهِ السَّلَامُ* وَكَذَلِكَ إِنْ صَحَّ مَا سِوَاهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَحْمُولًا عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ قَبِيلَتِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ بِدَلِيلِ مَا ذَكَرْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَكَذَلِكَ جِبْرِيلُ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِ نُوحٍ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهَا اللَّهُ آدَمَ أَوْ جِبْرِيلَ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ) (3( . لهذا فهي محفوظة بحفظ *القرآن الكريم*

والأمر المهم الذي يعنينا من ذلك أن العربية بقيت كما هي لا يعتريها شك، وأن ما أحدثه الناس بخلط مخارج الحروف إنما هو بسبب العجمة التي طرأت على اللسان العربي، وبسبب ضعف القرَّاء غير المجازين بسند بالنطق به، ولكن القارئ الماهر يستطيع بمهارته إخراج كل حرف من مخرجه كما تقدم ويأخذه ذلك تلقياً من أفواه الشيوخ الماهرين الحذَّاق، وأن يتجنب الوقوع في الخلط بين الضاد وغيره من الحروف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً والله تعالى أعلم.

( ))) ((

)1 (أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه برقم) 3641 (، والبيهقي في شعب الإيمان برقم) 1505 (من طريق سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر: أن رسول الله *صلى الله عليه وسلم* تلا } :قرءَانا عَرَبيّاً لقومٍ يعلمون) { فصلت: 3 (ثم قال: (( أَلْهِمَ إسماعيلُ هذا اللسان العربيَّ إلهاماً )) . انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ص 26 و 30. والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزياداته 1/ 173 برقم) 1220. (

)2 (جاء في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ الألباني 6/ 467: (فقال المناوي: الذي وقفت عليه في أصول قديمة من) شعب البيهقي (و) المستدرك (وتلخصيه للذهبي بخطه) :إبراهيم (بدل) إسماعيل (، فليحرر.(

)3 (تفسير القرطبي 1/ 284.

وأما الفريق الذي لم يعد الضاد من الحروف الشجْرية كسيبويه والسمرقندي وأبي حيان النحوي وابن جني وابن المبرد وآخرين وإليك بعض أقوالهم:

قال سيبويه عن مخرج الضاد) :من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد) (1( ، وله تعريف آخر هو) :حرف جانبي ينتج من احتكاك أحد جانبي اللسان مع اللثة . ( لهذا جعل مخرج الضاد حرفاً مستقلاً لا علاقة له بالأحرف الشجْرية.

وتابع أبو حيان النحوي سيبويه في طريقة إخراج الضاد إذ قال) :المخرج السابع وهو الضاد وهي أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر أو الأيمن عند الأقل، وكلام سيبويه يدل على إنها من الجانبين خلافاً لمن ذهب إلى أنها تختص بالجانب الأيمن، وخلافاً للخليل في زعمه أنها شجْرية من مخرج الجيم والشين) (2(.

وقال ابن جني) :من أول حافة اللسان وما يليها من الأظراس مخرج الضاد إلَّا إنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر) (3(.

وقال ابن المبرد) :ومخرجها من الشِدْقَ فبعض النَّاس تجْري لَهُ فِي الأيمن وَبَعْضهمْ تجْري لَهُ فِي الأيسر) (4( . وفي تعريف آخر لابن المبرد أنه قال) :مخرجها من الشدق زاوية الفم من باطن الخدين) (5(.

فجميع هؤلاء وغيرهم لا يعدون الضاد من الحروف الشجْرية، بل يعدونه مستقلاً بذاته اتباعاً لشيخ العربية سيبويه.

بعد ما تقدم من ذكر أراء الفريقين وتضاربهما حول الضاد هل هي من الأحرف الشجْرية أم مخرجه مستقل به، وبعد التمحيص والبحث الطويل، تبين لنا أن الضاد من الأحرف الشجْرية لأنها تخرج من حيِّزٍ واحِد، وهو مَفْرَج الفمِ أي مفتحه ما بين اللحيين - ما بين وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى -، وهذا ما عليه أكثر علماء اللغة والأداء كالخليل الفراهيدي، والزمخشري، وابن منظور، والحسيني صاحب) تاج العروس (وغيرهم، ومنهم إمام الفن المحقق ابن الجزري *رحمه الله* تعالى (، وابن أبي طالب المكي القيسي صاحب كتاب) التبصرة (، ومن المفسرين الألوسي، وآخرين من القدامى والمحدثين. وبهذا تكون الأحرف الشجْرية أربعة وهي الجيم والياء والشين والضاد، والله أعلم.

)1 (الكتاب لسيبويه 4/ 433.

)2 (ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان 1/ 6.

)3 (سر صناعة الإعراب 1/ 52.

)4 (المقتضب 1/ 193.

)5 (انظر: المنجد في اللغة ص 379.